

الكتاب

الكتاب

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى



كَفَلَ نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عِيسَى مَرْيَمَ ابْنَةَ عَمْرَانَ ، وَكَانَ
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، فَكَانَ
يَسْأَلُهَا :

— مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ !

وَكَانَتْ تُجِيبُهُ ، بِأَنَّ هَذَا الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .. فَتَمَنَّى زَكَرِيَّا عِيسَى فِي
نَفْسِهِ ، وَدَعَا اللَّهَ (تَعَالَى) بِصَوْتٍ غَيْرِ مَسْمُوعٍ أَنْ

يَرْزُقُهُ ابْنًا يَرِثُهُ فِي الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ ، وَيَرِثُ أَجْدَادَهُ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَشَّرَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بِأَنَّهُ سَيَنْجِبُ غُلَامًا ،
لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَلَا شَبِيهٌ مِنْ قَبْلُ ، وَسَيَكُونُ اسْمُهُ يَحْيَى ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عِلَامَةَ ذَلِكَ أَنَّ يَجِدَ زَكَرِيَّا نَفْسَهُ وَقَدْ صَامَ
عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَمْرُهُ أَنَّ يُكْثِرَ مِنَ التَّسْبِيحِ ، فِي أَوَّلِ
النَّهَارِ وَآخِرِهِ ، فَأَخَذَ زَكَرِيَّا يُكْثِرُ مِنَ التَّسْبِيحِ ، وَيَأْمُرُ
قَوْمَهُ بِهِ ..

وَحَدَّثَتِ الْمُعْجِزَةُ ..

حَمَلَتْ زَوْجَةً زَكَرِيَّا بِالطُّفْلِ الَّذِي بَشَّرَ اللَّهُ (تَعَالَى)
بِهِ زَوْجَهَا .. فَلَمَّا تَمَّتْ أَشْهُرُ الْحَمْلِ ، وَضَعَتْ زَوْجَةً
زَكَرِيَّا الطُّفْلَ الْمُبَارَكَ ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ الْاسْمَ الَّذِي
اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهُ ، قَبْلَ أَنْ يُولَدَ ..

فَكَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ (تَعَالَى) لَهُ ، بِأَنَّهُ
لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ شَبِيهًا وَلَا مِثْلًا فِي خَلْقِهِ وَخَلْقِهِ ..
وَلَقَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَهُوَ فِي سِنِّ
صَغِيرَةٍ .. وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ أَمْثَالُهُ مِنَ الصَّبِيَّانِ

يَلْهَوْنَ وَيُلْعَبُونَ كَانَ يَحْيَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْرُسُ التَّوْرَةَ
وَيَتَعَلَّمُ أَحْكَامَهَا ..

قال (تعالى) :

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ..

[سورة مريم : ١٢]

ولقد علّمه الله (تعالى) أحكام التّوراة ، وحلالها
وحرامها ، وهو لم يزل صبيّاً صغيراً ، فلم يكن أحدٌ
أَعْلَمَ بأحكام التّوراة من يحيى بن زكريّا - عليهما
السّلام ..

قال (تعالى) :

﴿ ... وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

وَيُرَوَّى أَنَّ الصَّبِيَّانَ قَالُوا لِيَحْيَى ذَاتَ يَوْمٍ :
- اذْهَبْ بِنَا نَلْعَبْ ..

فردّ عليهم قائلاً :

- مَا لِلْعَبْ خُلُقُنَا ..

وقد وهب الله لزكريّا ابنه يحيى - عليهما السّلام -

رَحْمَةً مِنْهُ بِهِ فِي كِبَرِهِ ، وَمَحَبَّةً لَهُ ..

وَأَيْضًا رَحْمَةً لِقَوْمِهِ ، وَمَحَبَّةً لَهُمْ ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ
وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ ..

قال (تعالى) :

﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ .

ولقد كان يحيى عليه السلام طاهر الخلق ، مُعَافًى مِنَ
النَّقَائِصِ وَالرَّذَائِلِ ، تَقِيًّا يَخْشَى اللَّهَ وَيُطِيعُ أَوَامِرَهُ ،
وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ ..

وكان برًّا بِوَالِدَيْهِ ، مُطِيعًا لَهُمَا ، رَحِيمًا بِهِمَا ،
عَظُوفًا عَلَيْهِمَا ..

وقد أثنى الله (تعالى) على يحيى عليه السلام في يوم مولده ،
ويوم وفاته ، ويوم يبعث حياً ، فقال سبحانه :

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ
حَيًّا ﴾ .

وقد قال العلماء : إِنَّ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ الثَّلَاثَةَ هِيَ أَشَدُّ

ما تَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ ، لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ فِي كُلِّ مِنْهَا
مِنْ عَالَمٍ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ ، فَيَفْقِدُ الْعَالَمَ الْأَوَّلَ بَعْدَمَا
كَانَ قَدْ أَلْفَهُ وَتَعَوَّدَ عَلَيْهِ ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى الْعَالَمِ الْآخِرِ ،
وَهُوَ لَا يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَدْرِي مَا سَوْفَ يَحْدُثُ
لَهُ فِيهِ ..

ولهذا يَخْرُجُ الطِّفْلُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، وَيَسْتَقْبِلُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا صَارِحًا ، لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ عَالَمٍ آمِنٍ دَاخِلِ بَطْنِ أُمِّهِ ،
لَا يَحْمِلُ فِيهِ هَمٌّ شَيْءٌ ، إِلَى حَيَاةٍ يَكَابِدُ هُمُومَهَا ،
وَيَشْقَى فِيهَا لِيَحْصُلَ عَلَى قُوَّةٍ يَوْمَهُ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي
مَتَى يَفَارِقُهَا وَلَا كَيْفَ ..

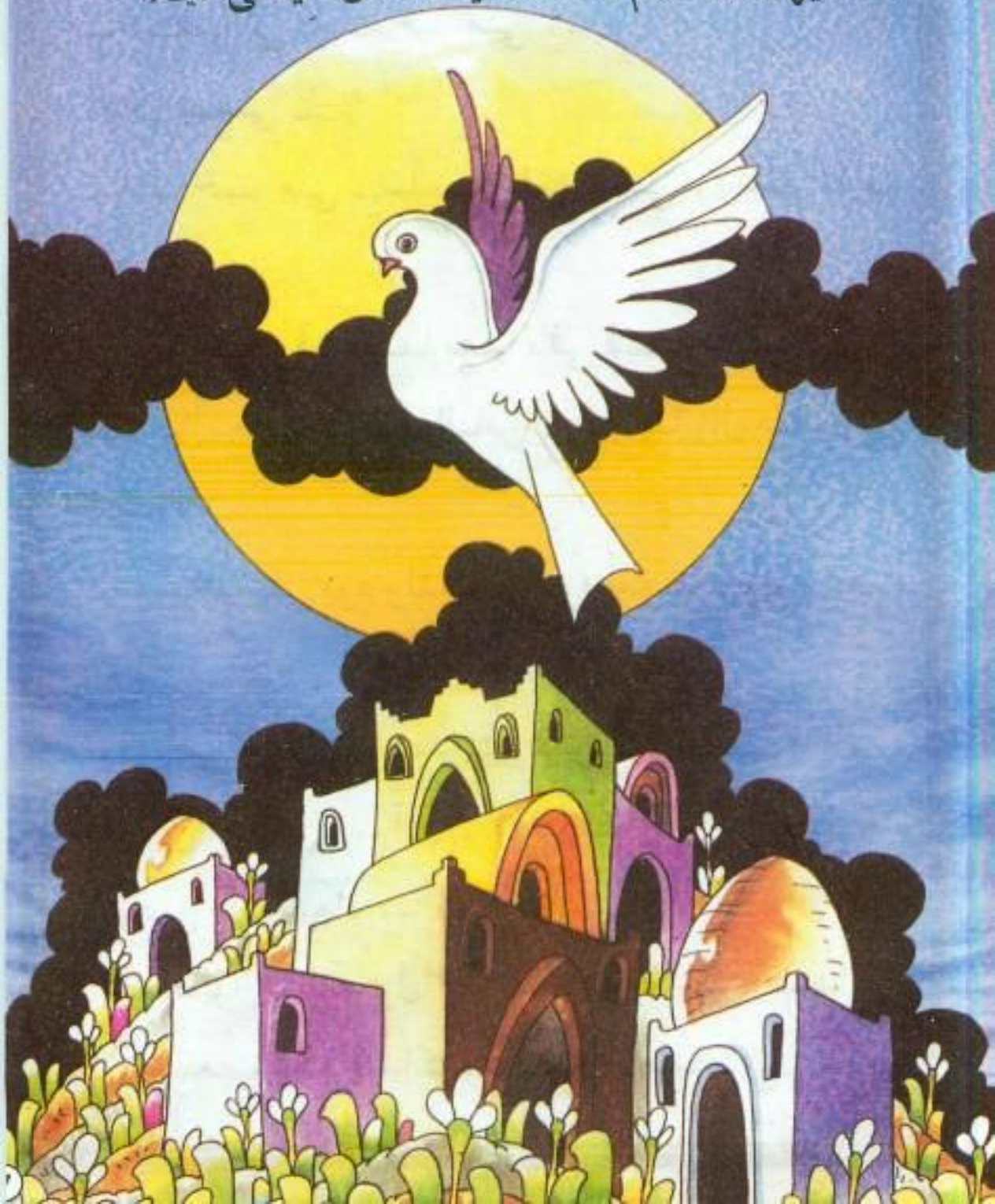
وَإِذَا مَاتَ فَإِنَّهُ يَفَارِقُ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى
عَالَمِ الْأَمْوَاتِ ، وَيَصِيرُ بَعْدَ سَكَنِ الدُّوْرِ وَالْقُصُورِ ، إِلَى
سَكَنِ الْقُبُورِ ..

ثُمَّ يَنْتَظِرُ هُنَاكَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ ، حَيْثُ
تَنْهَضُ الْخَلَائِقُ لِيَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، فَإِمَّا كَانَ مِنَ
السُّعْدَاءِ ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَإِمَّا كَانَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ ،

فِيَدْخُلُ النَّارَ ..

وَقَدْ رَوَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنَّ يَحْيَى وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ

— عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — قَدْ التَّقِيَا ، فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :



.. استَغْفِرُ لِي فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي ..

فَقَالَ لَهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

.. استَغْفِرُ لِي فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي ..

فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

.. أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي ، سَلَّمْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْكَ

اللَّهُ ..

وَكَمَا سَنَعْرِفُ فِيمَا بَعْدُ ، فِي قِصَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَقَدْ قَالَ حِينَ خَاطَبَ النَّاسَ ، وَهُوَ مَا زَالَ طِفْلاً فِي
الْمَهْدِ :

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ ، وَيَوْمٍ أَمُوتُ ، وَيَوْمٍ أُبْعَثُ

حَيًّا ﴾ .

وَقَدْ أَتَنَى رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ يَحْيَى فَقَالَ :

« مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا وَقَدْ أَخْطَأَ ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ ،

إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا » ..

وَقَدْ قَالُوا إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا عَلَى أَصْحَابِهِ ،

وَسَمِعَهُمْ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَ الْأَنْبِيَاءَ ..



فقال قائلٌ منهم :

- موسى كليمُ الله ..

وقال قائلٌ :

- عيسى روحُ الله وكلمته ..

وقال قائلٌ :

- إبراهيمُ خليلُ الله ..

فقال ﷺ :

- «أَيْنَ الشَّهِيدُ ابْنُ الشَّهِيدِ ، يَلْبَسُ الوَبَرَ ، وَيَأْكُلُ

الشَّجَرَ ، مَخَافَةَ الذَّنْبِ» .

وكان ﷺ يقصدُ النَّبِيَّ يَحْيَى بنَ زَكَرِيَّا - عليهما

السَّلَام - ..

هذا هو نَبِيُّ اللَّهِ يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا - عليهما السَّلَام - الذي

كانَ يَعِيشُ فِي الْبَرِّيَّةِ ، بِبَلَدٍ يُدْعَى يَاوِيَّةَ ، وَلَا طَعَامَ يَكْفِيهِ ،

فكانَ يَأْكُلُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ ، وَيَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ ، وَيَلْبَسُ

الْخَشَنَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَيَنَامُ فِي أَى مَكَانٍ يَهْبِطُ عَلَيْهِ

اللَّيْلُ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ نَقُودًا ، وَلَا شَيْئًا
مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ..

وَكَانَ كُلُّ وَقْتِهِ مُخَصَّصًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَهَدَايَةِ
عِبَادِ اللَّهِ إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ ..

وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ
صَبِيًا صَغِيرًا ، وَآتَاهُ اللَّهُ (تَعَالَى) الْإِقْبَالَ عَلَى الْعِلْمِ وَدِرَاسَةَ
كِتَابِ الشَّرِيعَةِ ، وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ صَبِيٌّ ، وَقَدْ
كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمَ النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ حِكْمَةً فِي زَمَانِهِ ..
وَلِذَلِكَ كَانَ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَسْرَارَ
الدِّينِ ، وَيُعَرِّفُهُمُ الصَّوَابَ وَيُحَذِّرُهُمُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي
الْخَطَا ..

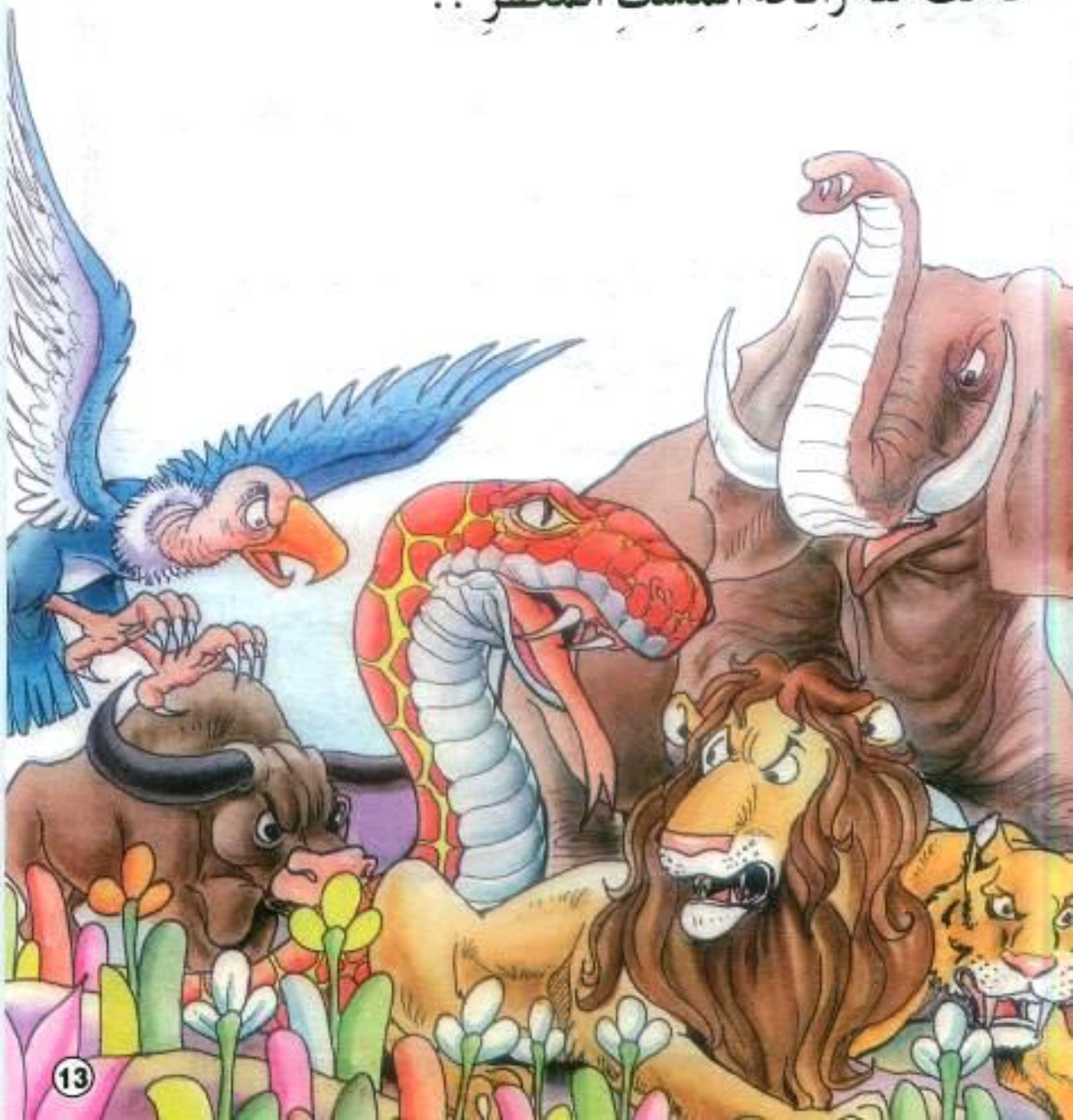
كَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحْبُوبًا بَيْنَ النَّاسِ لِحَنَانِهِ وَزَكَاتِهِ ،
وَعِلْمِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَنَسُّكِهِ لِلَّهِ (تَعَالَى) ..
وَكَانَتْ أَحَبُّ الْأَوْقَاتِ إِلَيْهِ هِيَ أَوْقَاتُ الصَّلَاةِ ،
وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا صَلَاةً مُتَّصِلَةً لِلَّهِ ..

وكان يُحبُّ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْخَلَاءِ ، حَيْثُ
الْجِبَالُ وَالصَّحَارَى وَالْحُقُولُ ، فَيَخْتَلِي هُنَاكَ شُهُورًا
يَعْبُدُ اللَّهَ وَيَبْكِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ ..
وكان رَحِيمًا بِالْحَيَوَانَاتِ ، وَعَطُوفًا عَلَيْهَا ، وَلِذَلِكَ
كَانَتْ أَكْثَرُ الْوُحُوشِ شِرَاسَةً وَضِرَاوَةً ، تَذُوبُ رُقَّةً
وَوَدَاعَةً وَاسْتِسْلَامًا لَهُ .. وَكَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُطْعِمُهَا
بِيَدَيْهِ ..

وكان يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ النَّاسِ ، لِيَدْعُوهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَبْكَاهُمْ حُبًّا وَخُشُوعًا لِلَّهِ ..
وَقَفَ يَوْمًا يَخْطُبُ فِي النَّاسِ وَيَعْظُهُمْ ، فَتَجَمَّعَ حَوْلَهُ
خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ لَهُمْ :

— إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَمَرَنِي بِكَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهَا ،
وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا .. أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ
بِلَا شَرِيكَ ، فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ ، فَهُوَ مِثْلُ
عَبْدٍ اشْتَرَاهُ سَيِّدُهُ ، فَرَّاحٌ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي ثَمَنَ عَمَلِهِ
لِسَيِّدٍ غَيْرِهِ .. أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ؟ !

وَأْمُرْكُمْ بِالصَّلَاةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِهِ ، وَهُوَ
يُصَلِّي مَا لَمْ يَلْتَفِتْ عَنْ صَلَاتِهِ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَاخْشَعُوا ..
وَأْمُرْكُمْ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ مَثْلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ
صُرَّةٌ مِنْ مِسْكِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ ، كُلَّمَا سَارَ هَذَا الرَّجُلُ
فَاحَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ الْمُعْطَرِّ ..



وَأَمْرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) كَثِيرًا ، فَإِنَّ مِثْلَ
ذَلِكَ ، كَمِثْلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ أَعْدَاؤُهُ فَأَسْرَعَ لِحَصْنٍ حَصِينٍ ،
فَأَغْلَقَهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْظَمَ الْحُصُونِ ذِكْرُ اللَّهِ ، وَلَا نَجَاةَ بِغَيْرِ
هَذَا الْحَصْنِ ..

هَذَا هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أَتَى اللَّهَ (تَعَالَى)
عَلَى خُلُقِهِ قَبْلَ مَوْلَدِهِ ..

خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ - يَتَمَاشِيَانِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَصَدَمَ يَحْيَى امْرَأَةً ،
وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّهُ صَدَمَهَا ، فَقَالَ عِيسَى :
- يَا بَنَ الْخَالَةِ ، لَقَدْ أَصَبْتَ الْيَوْمَ خَطِيئَةً مَا أَظُنُّ أَنَّهُ
يُغْفَرُ لَكَ أَبَدًا ..

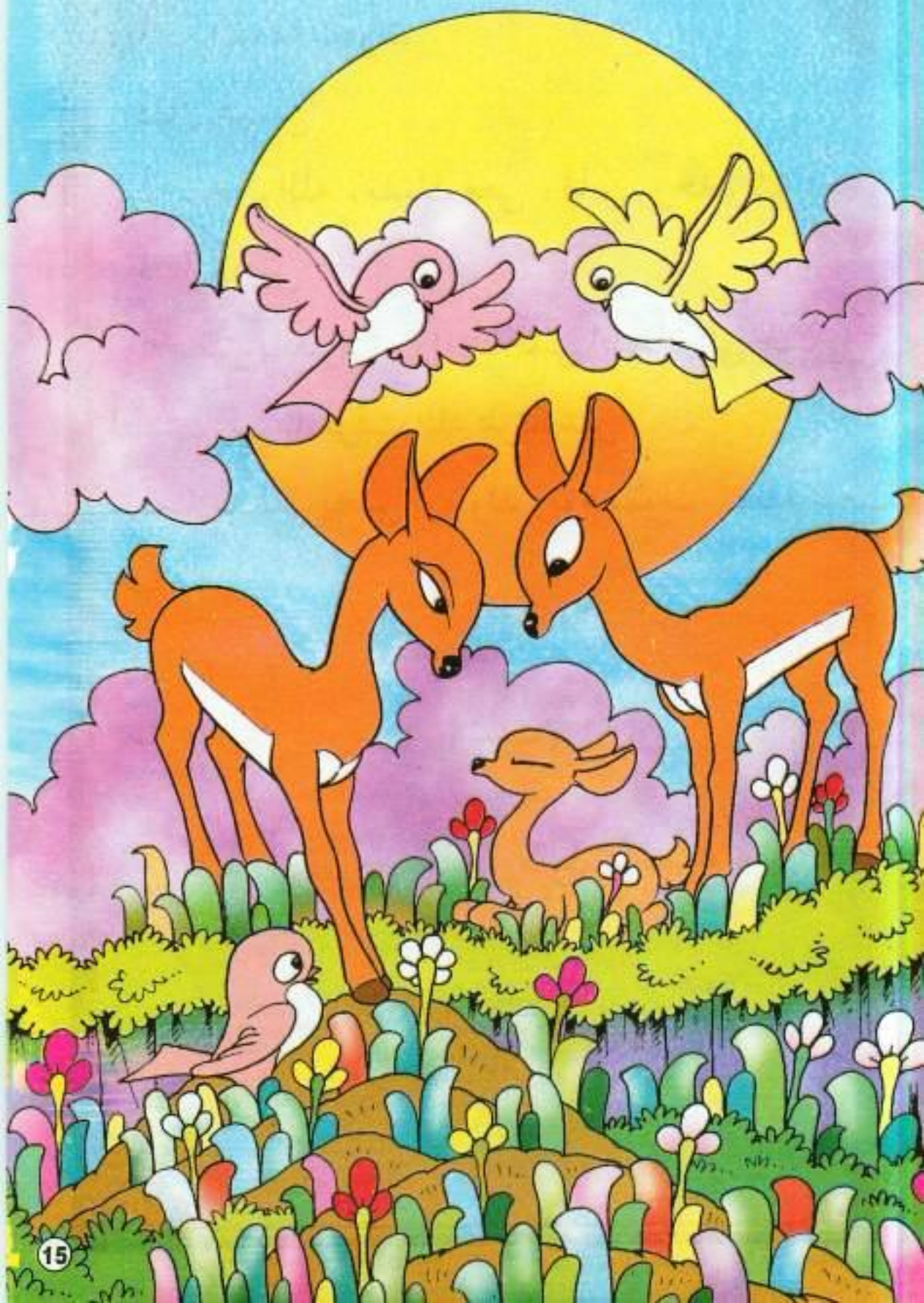
فَقَالَ يَحْيَى مُتَعَجِّبًا :

- وَمَا هِيَ يَا بَنَ الْخَالَةِ ؟ !

فَقَالَ عِيسَى :

- امْرَأَةٌ صَدَمْتُهَا ..

فَقَالَ يَحْيَى :



— واللّٰهُ مَا شَعَرْتُ .

فَقَالَ عِيسَى :

— سُبْحَانَ اللَّهِ ، بَدَنُكَ مَعِيَ ، فَأَيْنَ رُوحُكَ ؟ !

فَقَالَ يَحْيَى :

— مُعَلَّقٌ بِالْعَرْشِ ، وَلَوْ أَنَّ قَلْبِي اطْمَأَنَّ إِلَى جِبْرِيلَ ،

لَظَنَنْتُ أَنِّي مَا عَرَفْتُ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ..

فَسَلَامًا عَلَى يَحْيَى يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ

حَيًّا ..

(تَمَّتْ)

الكتاب التالي

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) (خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)

أحرص على اقتنائه

رقم الإيداع : ٣٠٠١/٣٧٤٧
٩٧٧ - ٢٦٦ - ٥٨٢ - ٤